كنوز الأجداد

- ١٢ -

أبو الفرج الاصفهاني

علي بن الحسين

(٣٥٦)

قيل انه من ولد هشام بن عبد الملك وساق ياقوت نسبه هكذا : علي بن الحسين ابن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد في اصفهان وأخذ العلم في بغداد عن ابن دريد وابن الأنباري والجمحي والأخفش ونفطويه وكتب عليه أن يتنقل في البلاد وانتهى الى أن أصبح من ندماء الوزير المهلبي ووصل الى سيف الدولة ابن حمدان . وصفه ياقوت بالعلامة النسابة الاخباري الحُفَظَة الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه وكان مع ذلك شاعراً مجيداً .

وقال التنوخي كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم يحفظ مثله أحد ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونتف من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء والشعراء .

كتب المؤلف مصنفات كثيرة أجاد فيها وأجلها كتاب الأغاني جمع فيه الأصوات القديمة وما قيل فيها وتراجم الأدباء والشعراء وأخبار الحضارة والعلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مما لم يكتب لكثيرين ان يجيدوا فيه ، فالأغاني كتب كثيرة في كتاب ، انتفع به كل مؤلف وكل أديب وكل شاعر وكل ناثر على اختلاف العصور ولو قد كتب له الضياع لفقد الأدب العربي بفقده أعظم جزء مهم . ومن عظمة هذا الكتاب ان فيه أخباراً اقتبسها من كتب لم تصل الينا وقد حمله أشعاراً وقصصاً من الأدب المكشوف لا تروق الافرنج طريقتها وتلاهم العرب لعهدنا في الاشمئزاز من كتبها وتلاوتها وانشادها .

وقد استغرب من ترجموا لأبي الفرج بانه كان على نزعة شيعية مع انه أموي من صميم بني أمية والغالب ان بيئته اوحت اليه ذلك وكانت بعض الكتب التي اعتمد عليها من مؤلفات الشيعة . وقيل انه كان يؤلف بعض الكتب ويرسلها الى ذوي قرباه من الأمويين في الأندلس ويجيزونه عليها سراً . وهذا كتابه الأغاني اهداه لسيف الدولة بن حمدان وهو شيعي فأجازه عليه بألف دينار وبلغ الصاحب بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة وانه يستاهل أضعافها ووصف الكتاب فأطنب ثم قال : ولقد اشتملت خزانتي على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري غيره ولا راقني منها سواه . قال ابو محمد المهلبي سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب فقال في خمسين سنة . قال ياقوت : «ولعمري ان هذا الكتاب لجليل القدر ، شائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت ، والهزل النحت» .

جمع الاصفهاني كتابه من كتب من سبقوه الى خوض هذه الموضوعات ومن دواوين الشعر والخطب والأخبار ما عز على غيره استيفاء مثله . جمعه بذوق عال شفاف حتى لينسى قارئه ان ابا الفرج جماعة قل ان يأتي بشيء من عنده واذا أتى به كان من الجيد الممتع لا يخرج كتابه عن منهاجه ولا يحيد عن ترتيبه . وأسلوبه السهل الممتنع في الكتابة وربما كان كاتباً أكثر منه شاعرا وان نسب المؤلفون اليه الشعر ووصفوه بالجودة . فالأغاني مفخرة لغة العرب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

لو اقتصر متأدب عليه لجاء منه أول أديب لأنه يظفر فيه بأدق الشعر وأجزل الخطب الى ما هنالك من أخبار وطرف وسيَر ومجالس وبدائع كتبها بجرية ظاهرة وما عمد الى شيء من التقية في تقييدها وتدوينها ·

ورموا أبا الفرج بانه كان مستهتراً في سيرته شأن بعض الندماء في العصر العباسي وكيف يمتنع النديم عن أشياء حظرها العرف والشرع وهي معروضة عليه كل ساعة وبها قد ينفق على مخدومه · وكما كانت بيئته الأصلية أوصلته الى القول بالتشيع لأهل البيت وهو من أسرة منافسة لهم ساقته النداءة الى ارتكاب امور كان يعف عنها لو لم يصل الى تلك المجالس والملاهي · ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه ·

ثم ان من الطبيعي ان يرجع من يكتب كتاب «مقاتل الطالبيين» الى مصادرهم ويرشح فكره من أفكارهم، وكما ان من يتوسع في الترجمة لأبي نواس وينقل شعره العاهر بدون حرج يحكم على المؤلف انه كان في كتاب «مقاتل الطالبيين» شيعياً جلداً [1] وفي الشعر النواسي خليعاً ماجناً · وكتاب الأغاني على أي حال هو معلمة أدب أو أكبر معلمة في أدب العرب لا يستغني عنه كاتب ولا مؤلف ولا تلميذ ولا أستاذ · كتبه مؤلفه في السنين الطويلة ولم يدخر وسعاً في تجويده فجاء كما أراد هو وأراد الأدب وحاول بعض المتزمتين اختصاره فما أتوا بكبير أمر وبقيت قلوب الدارسين والمتلهين لا تعلق لها بغير قراءة الأصل والاعتماد عليه ·

ألف كتاب الأغاني في عصر نضجت فيه الآداب نضجاً لم يتيسر لها في القرون التالية ان وفقت الى أكثر منه فهو بلغته السامية ومادته الواسعة من النمط

---

(١) يقول صديقي الأستاذ المحقق شفيق جبري انه أمعن النظر كثيراً في كتاب الأغاني فرآه ينقل ما يرميه بالتشيع وما تثبت به براءته منه فهو بريء من التشيع اذا اعتبرنا مجموع كلامه · واذا صح رأي الأستاذ الحبيب يخرج أبو الفرج من تهمة ألصقت به زمناً طويلاً لأني ما رأيت مؤلفاً من القدامى الا وقال بشيعيته ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

العالي، وفي جودة تأليفه المثل السائر بين المؤلفات ، صرف مؤلفه في تصنيفه نقد عمره فخلد اسمه تخليداً لم يبلغه من ألفوا مجلدات أكثر من مجلداته، ذلك لأن هؤلاء كتبوا برؤوس أناملهم من حاضر الوقت وكتاب ابي الفرج كتبه بتحقيقه وجمال ذوقه وخلع على ما جمع حلة شائقة من ظرفه، ومجموع هذا دلَّ على نبوغ تفرّد به في هذا الباب من دون أكثر المؤلفين، ومثل هذا التأليف اذا أرادت أمة عظيمة من أمم الحضارة الحديثة أن تخرجه للناس لا يعمل فيه أقلّ من خمسين عالماً اخصائياً في فنه وابو الفرج عمل وحده وكان نسيج وحده ، فالأغاني كنز من كنوز الأجداد ومفخرة الآباء والأبناء والأحفاد .

ومما روي من شعره ما قاله في هجو المهلبي :

أبعين مفتقر اليك رأيتني ... بعد الغنا فرميت بي من حالق

لست الملومَ أنا الملوم لأنني ... أملت للاحسان غير الخالق

ومنه :

حضرتكم دهراً وفي الكم تحفة ... فما أذن البواب لي في لقائكم

اذا كان هذا حالكم يوم اخذكم ... فما حالكم تالله يوم عطائكم

وذكروا ان صاحب الأغاني كان كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً له وكان يتوقع من الرئيس ابي الفضل بن العميد ان يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه وعدم ذلك منه فقال :

مالك موفور فما باله ... اكسبك التيه على المعدم

ولِمْ اذا جئت نهضنا وان ... جئنا تطاولت ولم تتمم

وان خرجنا لم تقل مثل ما ... تقول « قدم طِرفه قدّم »

ان كنت ذا علم فمن ذا الذي ... مثل الذي تعلم لم يعلم

ولست في الغارب من دولة ... ونحن من دونك في المنسم

وقدَ ولينا وعزلنا كما ... انت فلم نصغر ولم نعظم

تكافأت أحوالنا كلها ... فصل على الانصاف او فاصرم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد روى ابوحيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا ومن قوله في المهلبي :

ولما انتجعنا عائذين بظله أعان وما عنّى ومنّ وما منّا
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله من قصيدة يستميحه :

رهنت ثيابي وحال القضاء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشتاء كما قد ترى عسوف عليّ قبيح الأثر
نغادي بصرّ من العاصفا ت أو دمق مثل وخز الابر
وسكان داري ممن اعو ل يلقين من برده كل شر
فهذي تحن وهذي تئن وأدمع هاتيك تجري درر
اذا ما تململن تحت الظلام يعللن منك بحسن النظر
ولاحظن ربعك كالمحلين شاموا البروق رجاء المطر
يؤملن عودي بما ينتظرن كما يرتجى آيب من سفر

شعر لطيف ولكنه بعيد عن عزة النفس ما كان يليق صدوره من مثله ٠

عماد الدين الكاتب الاصفهاني

محمد بن محمد

(٥٩٧)

قالوا خرج من اصبهان من العلماء والأئمة في كل فن ما لم يخرج من مدينة من المدن وعلى الخصوص علم الاسناد فان أعمار أهلها تطول ولهم مع ذلك عناية وافرة بسماع الحديث وبها من الحفاظ خلق لا يحصون ولها عدة تواريخ ٠ والعماد الكاتب هو من هذه المدينة الجميلة نشأ بها وجاء بغداد شاباً فانتظم في سلك طلبة المدرسة النظامية وتفقه بأجلة فقهائها ومحدثيها واجازوا له ثم رجع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى اصفهان فتفقه بها أيضاً على الخجندي والوركاني وعاد الى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ واتصل بالوزير يحيى بن هبيرة فولاه النظر في البصرة ثم بواسط ولما توفي ابن هبيرة أقام العماد ببغداد مدة منكد العيش ثم انتقل الى دمشق فأنزله قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالمدرسة النورية وكان للعماد معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين ، عرفه بتكريت حين كان نجم الدين والياً عليها ، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر للسلام عليه في منزله ومدحه العماد بقصيدة جاء في مطلعها :

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب ولا الفراق الى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يا محبوب محبوبي

وكان القاضي الشهرزوري يذكر العماد عند السلطان نور الدين وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأهله لكتابة الانشاء فتردد العماد في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به ، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده ، خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه ثم أقدم بعد الاحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخم . وكان ينشئ الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها اجادته بالعربية .

وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره وفوض اليه تدريس المدرسة العمادية وولاه الاشراف على ديوان الانشاء . ولما توفي نور الدين وولي ابنه الملك الصالح اسماعيل اغراه بالعماد جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد فوصل الى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها فعزم على الرجوع الى الشام وخرج من الموصل فوصل الى دمشق وسار منها الى حلب فلزم بابه ينزل بنزول السلطان ويرحل برحيله .

هذا ما نقله ياقوت قال ولم يزل يغشى مجالسه ملازماً لخدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه فتصدر وزاحم الوزراء وأعيان الدولة وعلا قدره وطار صيته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قالوا ولما دخل القاضي الفاضل على صلاح الدين لما أدخل عليه العماد الكاتب قال له غداً يأتيك تراجم الأعاجم وما يحلها مثل العماد . فقال له السلطان مالي عنك مندوحة أنت كاتبي ووزيري ورأيت على وجهك البركة فاذا استكتبت غيرك تحدث الناس . فقال : العماد يحل التراجم ولربما أغيب أنا فاذا غبت قام مقامي . وكان اذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى اليه السلطان مقاليده وركن اليه باسراره فتقدم الأعيان وأشير اليه بالبنان .

وكان عماد الدين محل ثقة القاضي الفاضل آمناً من توثبه عليه ولهذا كان يطمئن اليه اذا غاب عن السلطان . وكان شديد الحرص على تحصيل الدنيا وكان الفاضل يلومه ويعتبه ويعذله ويؤنبه على ذلك فلا يرعوي وله في هذا حكايات منها أن رجلاً من أهل حمص جاءه بطبق كيزان وتفصيلة كتان قيمة ذلك كله نحو خمسين درهماً وسأل حاجة فأخذ قصته وقرأها على السلطان وكان قد بلغه الخبر فلم يجبه ، فأعاد العماد عرض القصة وقراءتها مرات في مجالس عدة والسلطان لا يأمر فيها ولا ينهى ففطن العماد وعلم أن الخبر قد اتصل بالسلطان فأعاد عرض القصة فلم يجبه عنها . قال : يا مولانا الطبق الذي أحضره صاحب هذه القصة باق الى الآن لم أتصرف فيه فان كان ما ينقضي شغله أعدت عليه طبقه فضحك السلطان وعجب من دناءة نفسه وأمر بقضاء شغل الرجل .

وكان شديد التهافت على أخذ الختوم الذهب التي تجيء على كتب الفرنج ، فوصل منهم كتاب بغير حضوره ففتحه السلطان بيده وأخذ بعض الحاشية الختم فلما جاء العماد قيل له اكتب جواب هذا الكتاب ، فقال يكتب جوابه من أخذ الختم فعز قوله على السلطان وقال له : قم اخرج ، الوقت ما هو محتاج اليك . فأتى الى الفاضل وعرفه ما كان فقال له رُح الى الخانكاه واقعد بها مع الفقراء والبس زيهم ، فاذا طلبك السلطان قل انا دخلت في أمر لا أخرج منه ثم لا تخرج حتى يأتيك السلطان بنفسه مترضياً . وكان من هذا التدبير ان جاءه السلطان وترضاه . ومن شعره :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شي كتبي فليس تصلح من بعـ ـدي لغير العطار والاسكاف

هي اما مزاود للعقاقيـ ـر واما بطائن للخفاف

ولما توفي صلاح الدين اختلت أحوال العماد ولزم بيته وأقبل على التصنيف والافادة حتى توفي سنة ٥٩٧ . وله من المصنفات خريدة القصر وجريدة العصر تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة الى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة وله البرق الشامي والفتح القسي في الفتح القدسي وهذا مطبوع وله غير ذلك من الكتب والدواوين .

أما انشاؤه فسجع وفي الفتح القسي منه مثال يأتي على حلم الحليم ، لما أكثر فيه من الجناس وأتى من أنواع البديع وقد شهد القاضي الفاضل بانه كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار . ونحن نقول ان شهرته أعظم من حقيقته . لا جرم انه متمكن من اللغة يصرفها كما يشاء بقلمه وتكلفه لا يخفى على صاحب هذا الفن . وفي الفصل الذي عقده في الفتح القسي لوصف نساء الافرنج اللاتي فدين أنفسهن في الحروب الصليبية للترفيه عن بني قومهن في فلسطين مثال بين من ذلك . وما قيل في نثره يقال في شعره فانه يكثر فيه الجناس أيضاً حتى يفقد سلاسته ولنا ان نقول انه شاعر أرقى من الوسط وناثر كذلك ، هيأت له الايام شهرة طالما تخطت من بذوه وما ساواهم في أدبهم وأخلاقهم . ومن قصائده الطوال في مدح السلطان صلاح الدين ضمنها فتح القدس وفلسطين قال في مطلعها :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا وتعتاض من ذكراكم وحشتي أنسا

وأسأل عنكم عافيات دوارس غدت بلسان الحال ناطقة خرسا

معاهدكم ما بالها كعهودكم وقد كررت من درس آثارها درسا

وقد كان في حدس لكم كل طارف وما جئتم من هجركم خالف الحدسا

أرى حدثان الدهر ينسى حديثه وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى

تزول الجبال الراسيات وثابت رسيس غرام في فؤادي لكم أرسى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حسبت حبيبي قاسي القلب وحده   وقلب الذي يهوى بحمل الهوى أقسى

ومنهـا :

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا   وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر   ولسنا نرى الا أنامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمتـه الرضى   وبطشته الكبرى وعزته القعسا
فلا عدمت أيامنـا منه مشرقاً   ينير بما يولي ليالينا الدمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم   أعاديك جناً في المعارك او انسا

ومن غزلياته قوله :

أفدي الذي خلبت قلبي لواحظه   وخلفت لذعات الوجد في كبدي
صفـات ناظره سقم بلا ألم   سكر بلا قدح جرح بلا قود
على محياه من نار الصبا شعل   وورد خديه من ماء الجمال ندي

ومن حكمياته :

اقنع ولا تطمع فان الغنى   كله في عزة النفس
فانمـا ينقص بدر الدجى   لأخذه الضوء من الشمس

وقال : وما هذه الأيام الا صحائف   يؤرخ فيها ثم يمحى ويمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى   توسعها الآمال والعمر ضيق

ابن القلانسي

حمزة بن اسد بن علي ابو يعلى التميمي

(٥٥٥)

ترجم له ابن عساكر فوصفه بالعميد وانه كانت له عناية بالحديث وكان أديباً له خط حسن ونثر ونظم . وكان فيه تخصص وصنع تاريخاً للحوادث بعد سنة اربعين واربعمائة الى حين وفاته ، وتولى رياسة دمشق مرتين ، وكان يكتب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له في سماعه ابو العلاء المسلم بن القلانسي فذكر انه هو وانه كذلك كان يسمى

وفي تاريخ الاسلام انه كان كاتباً أديباً وجمع بين كتابة الانشاء وكتابة الحساب وحمدت ولايته توفي في عشر التسعين . وفي طبقات الأدباء انه الأديب الكاتب الشاعر المؤرخ كان من اعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياسة ديوانها مرتين . وقالوا فيه أيضاً انه كان كاتباً مترسلاً أي متثبتاً بمعنى انه كان فيه تخصص انه يعرف علوماً اختص بها لا يعرفها غيره او فاق فيها غيره

وكل ذلك لا يفي بالغرض في الترجمة له وكأن السياسة غالت أدبه ، والرياسات تقتضي صرف أوقات . ولم يصرح من ترجموا لابن القلانسي هل كانت ملكة السياسة فيه أمتن أم ملكة العلم والأدب ؟ وعندي ان كل واحد منهما اعان الشق الآخر على النمو ، ولولا أدبه ما وصل الى هذه المرتبة ، ولولا سياسته ما انتفعت به بلده وعد من حسناته ، ولولا جميل اخلاقه ما حمدت ولايته . والأرجح أن ابن القلانسي حصر جهوده في مدينته وما ينفعها ولم يتعد اجتهاده الى بحث غيرها فأنقص ذلك من شهرته ، ولو رحل الى عواصم أخرى وأطال الرحلة لذكرته تواريخ هذا الشرق القريب ولعرفنا أموراً نجهلها عنه مما شغل به في خدمة وطنه

الف ابن القلانسي تاريخه ذيلاً لابن عساكر وكان فيه قسم لأواخر عهد الفاطميين وقد ذكر من ظلمهم وتقلقل سياستهم ما كان فيه حجة لأنه دمشقي يكتب في دولة ظالمة تحكم امة يخالف سوادها الأعظم في مذهبهم . وهو من سياسة البلدة في صميمها ومن بعد النظر وسعة العقل بالمكان الأسمى .

وصف بعض رجال الفواطم وبعض ملوكهم أجمل وصف كما أحسن الاحسان كله في الترجمة لمن ترجم لهم من الطارئين على الفيحاء من العلماء ومنهم من رثاهم على قرب عهده بصداقتهم . وما أجمل قوله في وصف الحاكم بأمر الله : وقال المغالون في المذهب انه غائب في سره (؟) ولا بد ان يؤوب ، ومستتر في غيبه ولا بد ان يرجع الى منصبه ويثوب ، ووصف ولاية معلى بن حيدرة بن منزو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

على دمشق وقد وليها قهراً وغلبة وقسراً من غير تقليد ، ولم يلق أهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش بن الصمصامة ما لقوه في ولايته . وفي أيام الفاطميين تغلب على دمشق قسام الحارثي من أهل تلفيتا في جبل سنير وكان ترّاباً ينقل التراب على ظهور الدواب .

ومن ذكاء ابن القلانسي انه كان يلتزم الكتمان في بعض الأحوال ، بخاصة هو يعرف ان الدول في عصره متقلقلة متحولة ، فمن فاطمية الى سلجوقية الى نورية وهو لا يعرف لمن تتم الغلبة الأخيرة ولهذا كان يجمجم أحياناً وهو على صواب في جمجمته ويتقي وهو غير آثم في تقيته . قال ولما اضطربت المسالك والأعمال ، وانطلقت أيدي التركمان والحرامية في الافساد في الأطراف ، واستولى نور الدين محمود على دمشق قال قصيدة مطولة وقال انها نظمت (للمجهول) في صفة هذه الحال أبيات شعر تنطق بذكرها بانها له لأنه سبق له أن نظم في الحكم كثيراً . جاء في آخرها :

ومن ذا الذي ينجو من الدهر سالماً ... اذا ما أتاه الأمر والله حاتمه (?)

ومن رام صفواً في الحياة فما يرى ... له صفو عيش والحمام يحاومه

فاياك لا تغبط مليكاً بملكه ... ودعه فان الدهر لا شك قاصمه

فان كان ذا عدل وأمن لخائف ... فلا شك ان الله بالعدل راحمه

وقل للذي يبني الحصون لحفظه ... رويدك ما تبني فدهرك هادمه

فكم ملك قد شاد قصراً مزخرفاً ... وفارق ما قد شاده وهو عادمه

وأصبح ذاك القصر من بعد بهجة ... وقد درست آثاره ومعالمه

وفي مثل هذا عبرة ومواعظ ... بها يتناسى المرء ما هو عازمه

ومن شعره :

يا من تملك قلبي طرفه فغدا ... معذباً بين أشواق وأشجان

أمنن بوصل لعلي أستجير به ... من سطوة البين في صد وهجران

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مالي منيت بممنوع يعذبني — ولا يزيد فؤادي غير احزان
لا برأ الله قلبي من تخوفه — إن شبت حبي له يوماً بسلوان
إذا ترنم قمري على فنن — في ليلة زاد في حزني وأشجاني
وكم أسر غرامي ثم أعلنه — وليس يخفى لكم سري واعلاني
لا برد الله شوقي ان نويت لكم — تغيراً لي بمال أو بسلوان

وله أيضاً :

يا نفس لا تجزعي من شدة عظمت — وأيقني من إله الخلق بالفرج
كم شدة عرضت ثم انجلت ومضت — من بعد تأثيرها في المال والمهج

وله أيضاً :

اياك تقنط عند كل شديدة — فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أوائل كل أمر حادث — أبداً فما هو كائن سيكون

وبعد فليس ذيل تاريخ دمشق وهو تاريخ مختصر جمل على السنين ومزجت فيه السياسة بوفيات الرجال هو كل ما يجب ان يخلفه ابن القلانسي المفتن البارع ، والغالب ان مشاغل البلد وسياستها شغلته عن وضع تآليف ، وقد طال عمره ؛ اذا لم يؤلفها أمثاله فمن يؤلفها بيد انه لم يفعل . والرياسات مهما كانت اعداؤها خنيفة تستغرق الوقت ، وهو ما قصد من تاريخه الا الوفاء بغرض ان لم يقم هو به ضاعت حوادث كثيرة من تاريخ الاسلام ولا سيما تاريخ بلده وهو يحبه ويتفانى في محبته خصوصاً ما كان منها متعلقاً باخبار الفاطميين الذين شهد ظلمهم الفظيع وتعصبهم الذميم لا يدون بعضها أشياعهم وأتباعهم .

محمد كرد علي

شبكة الألوكة
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net